

حكاية حسن وحليمة



جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

جواهر القصص

حجر القمر

١

جمال شاهين

٢٠٢٠

حكاية حسن وحليمة

الأميرة حليمة

حليمة أميرة من قبائل الطير الخضر في بلاد الطيور الخضر ، بلغت سن السابعة عشرة سن الزواج في تلك البلاد ، في هذه الديار على البنات عامة الاقتران برجل ، فقانونهم يبدأ سن النكاح من أربعة عشر ربيعا ، وفي العام السابع عشر تجبر الإناث على الزواج ، واذا البنت بلغت العشرين دون الزواج ينكحن إجبارا وكرها من عبيد الجزيرة ورقيقها ، فكيف بابنة أمير الجزيرة في بلاد وديار الطيور الخضر ؟!

فقال والدها أمير البلاد الحارث :كبرت يا بنية فحان وقت الزواج.

قالت : لا أرغب فيه .

فقال : كلنا نحبه.

قالت : لم أجد من أحبه من أمراء البلد أيها الأمير!

قال مستغربا : عجيب ! لابد من الزواج .. وسأطلب من وزيرنا الحارث بن غبار أن يطلب من الأمراء الشباب بعرضهم على عليك لتختاري منهم فارسا يليق بك.

قالت : هذا الأمر صعب على قلبي .. وأخشى أن لا يهفو قلبي على احد منهم.. فقد عرفت بعضهم ولم يرقوا لي .

زاد تعجبه من كرهها للزواج فقال : كل الأميرات يتزوجن في مثل سنك.. وكل شقيقاتك الأكبر منك تزوجن .. أنت ابنة الأمير ، وقد يصير أبوك ملك هذه الجزر كلها يا حليمة.

قالت مصرة : أعرف يا أبي الشجاع!

فقال محبطا : حسنا فكري بما اقترحت !

قالت بدلال : سأفكر يا مولاي!

قال : أنا في الانتظار .. من العيب أن يتأخر زواج ابنة الأمير.. الكل يهمس بذلك.. الأمير لم يفرح بفتاته .. الأمير لم يجد لها قرينا .. الأميرة تؤخر زواجها ؛ لتتزوج عبد من عبيد أبيها.

كان في المدينة شاب اسمه حسن مشهورا بين الشعب ، وفي الأحياء الفقيرة ، شجاعا قويا ،

وصيادا ماهرا ، وهذا الذي شهره بين العوام ، وعرف بمساعدة الفقراء والضعفاء والإحسان ويلقب بحسن الماهر ، وهو معروف في وسط الأحياء بين عموم الشعب ، وغير معروف لدى النبلاء والسادة الكبار ، فهؤلاء يحيون حياة كلها حفلات وسهرات ورفاهية ، فهم أصحاب الأراضي والحدائق والرياض ، ولا يعرفون أحوال المحتاجين وظروفهم .

وحسن معروف لدى الصيادين سواء صيادين الماء أو البر والغابات ، فهو الفاتك بالضباع والأسود ، وهو الصائد لكل الطيور ، وهو المحترف في صيد البحر.

لم يتزوج بعد ، ولم يرغب فيه ذلك الحين ، الناس تحب الشجاعة والشجعان ، وتمدحها وتمدحهم، وتفخر بها وتفخر بهم . وكثير من رجال الصيد والمراكب يرحبون بصحبته في رحلات الصيد البحرية والبرية ، فهو من أفضل الصيادين وأصبرهم وتحملهم في الجزيرة والديار والنزهات للغابات والمخاطر والأخطار .

كانت أمه تخشى عليه غدرات الزمان وتقلباتها وحسد الحاسدين ، ومما يعمل ويصطاد من صيد الوحش ، فيقول إيمانا بربه : الموت واحد يا أمي ! ولا بد منه فهل اذا بقيت هنا نجوت منه ؟ أحب الشجاعة والفروسية والصيد سواء في الماء أو الأدغال والغابات والجبال والوديان .

فقالت : ليس لي إلا أن أدعو الله مالك هذه المخلوقات إلا أن يحفظك ويحميك .

قال: بارك الله فيك يا أماه ! وأبقاك لي في صحة وعافية.

ردت : بوركت يا ولدي ! كم أنا في شوق أن أراك زوجا ووالدا.

قال : إن شاء ربي ذلك يا أم الحسن ! سيكون كله بأمره ، وبدعائك يتحقق الأمر



السباق

حين قدم الأمير الحارث بن بجعة شبان الأمراء للأميرة لم تر فيهم رجلا مناسبا ، فهم كل بضع سنين تراهم ينكحون أميرة أخرى ، حب جديد ، طلاق أميرة ، ترمل أميرة .. مع الزمن قد تصبح تعيش مع أربع نسوة ، هذا ديدن الأمراء فوالدها نكح عددا كثيرا ، ولديه أربع سوى الجواري .. يطلق وتأتي الرابعة ، ولولا الشريعة لجمع ما جمع سليمان ﷺ .

لما راجعها الأمير بأمر الزواج بعد استقبالها أكثر من مائة أمير ، اقترحت أن ينشأ سباق بين الأمراء الشبان وعامة الناس ، وتحضره لترى المقدم عليهم ، ويكون زوجها المختار ، يعني القصد رغبتها بزوج من العامة حتى لا يتزوج عليها اذا مد لها في العمر، لا ترغب بأن يكون لها ضرة أو أكثر . بعد مشاورة الوزير ، أعلن في المدينة عن سباق على الأقدام بين الأمراء والنبلاء وشبان من عامة الشعب ، وسيحضره أمير البلاد والأمراء .

وكان الوزير حذرا فقال : أخشى أن يتقدم العامة على الأمراء؛ فيكون ما ليس بالحسبان

قال أمير المدينة : الأمر صعب على النفس .. والتقرب من الشعب لا بأس به .. وهل يتفوق فتيان الشعب على الفرسان والأمراء ؟ .. فهذا يقرب القلوب بين العامة والنبلاء .. تريد زوجا من الشعب كما قلت قبل أيام .. لا تريد أميرا قد يتزوج عليها ؛ كما هو معروف من طبقة الأمراء .

قال الوزير : لنرى .. قد يكون ذلك خيرا من العنوسة أو الزواج من العبيد .

قال : نعم ، إنها تقترب من العشرين .

تقدم شباب النبلاء للسباق الملكي ، وكذلك أبناء الشعب ، وشجع الشباب حسنا الماهر للخوض والتقدم على علية القوم ، بما أنه من الشجعان ، ومعروف عنه السرعة ومسابقة الظباء والخيل والطير ، فهو عندما يصيد ظبيا أو طيرا يسبق إليه قبل أن تنهشه الوحوش والصقور . وتقدم حسن السريع على كل المتسابقين كما هو معهود عنه ، وفرح رفاقه بتقدمه المتوقع ، وصح توقعهم بتفوقه ، وكسب الهدايا التي قدرت للفائزين ، وصافح الأمير والوزير بهذه المناسبة.

كتبت الأميرة حليمة بنت أمير الجزيرة بعد السباق رسالة للشاب حسن الماهر تبدو إعجابها به عن سائر الفائزين ، وتعجب من سرعته وهيئته ، فقد رأته عن قرب حين تقدم لتحية والدها ووزيره وأبدت له رغبتها باللقاء به سرا ، وأوحت في الخطاب أنها قد تتخذه زوجا .

تلقى حسن الرسالة بواسطة أحد غلمان الأميرة ، وقرأها بتعجب ودهشة ، ودفعها لصديقه الأهم معتز الرملي الذي هتف بدوره متعجبا من بعد الاطلاع عليها، فقال غير مصدق : فتحت لك ليلة القدر .. الأميرة حليمة بنت أمير البلاد أعجبت بشخصك يا حسن! .. وتدعوك للقاء خاص .. عظيم ! ستصبح من الأمراء والنبلاء اذا حدث الاقتران .. آه .. كم ستفرح أمك وأهلك! ليتني حسنا يا أسرع حسن !

لم يقابل حسن فرحة صديقه بسعادة وفرح وحبور ؛ بل قال : أنا قلق من هذا اللقاء!

وقال للرسول : سأرد على الأميرة قريبا . وانصرف الغلام.

ازداد معتز استغرابا من رد حسن وقلقه ، وتحاور الشابان ، وذكرا قصة حب بين أميرة وشاب منهم قبل عهد ليس ببعيد .. كيف تزوج الشاب من الأميرة ؟ ثم غدروا به وقتلوه، لما تغير هوى الأميرة إلى رجل آخر ، واعترض الشاب على فعل الأميرة ، فما كان منها وحبيبها الجديد إلا التخلص منه بإغراقه بحيلة في البحر ، وظهرت جثته للعيان بعد حين يسير ، وتحدث والده أن الأميرة الزوجة خانته وغدرت به بالاتفاق مع عشيقها ، وكان الشاب قد كشف لوالده وعمه الخطر المحدق به ، واضطرت الأسرة لمغادرة الجزيرة إلى جزيرة لفشلهم بتحقيق العدالة ونفيهم من البلاد لطلبهم العدالة .

ذكروا هذه الحكاية التي شاعت في الجزيرة أكثر من غيرها ، وذكر حسن مصير زوج الأميرة ، ورفضه لأي علاقة شائنة لها مع العشاق ، خشي أن يكون مصيره مثل هذا اذا اقترب من الأسر النبيلة وحاشية الأمير والوزير ، وخشي معتز هذا المصير لأعز الأصدقاء، وانشغل قلباهما بهذا الهاجس والمصير المعتم .

فزارا الحكيم شفري المعتكف في صومعته البعيدة عن أهل الجزيرة ؛ كما طلبت منه أمه ، وسماع

نصحه ، فذهبا إلى صومعته في جبل كاف الطير الخضر ، وأراه حسن رسالة الأميرة حليمة ، فنصحه الحكيم بالخروج من بلده ، وذكره أيضا بقصة ذاك الشاب وفساد طبقة الأمراء ، وضعف الغيرة بينهم ، والرسالة تدل على ذلك ، وأن هذه الطبقة الحاكمة اذا أعجبت الفتاة بأحد سيبقى مجرد زوج ، وربما اذا أعجبت بغيره تهجره ، ويبقى بلا زوجة ؛ لأنهم سيمنعونه من الزواج على الأميرة ابنة سيد وملك الديار ، وبين لهما أن بعض الأميرات يرغبن بنكاح أبناء العامة خشية أن يتزوج الأمراء عليهن ، ويصبح لهن ضرة أو أكثر ، أما العامي فلا يسمح له قانون البلاد بالتعدد .. فالملل والفتور يصيبان البشر ، فاقتنع الشاب الصياد بإرشاد شفري عاكف جبل كاف ، وكتب رسالة اعتذار لابنة الملك أمير البلاد ، وذكر عجزه أن يعيش في طبقة لم يتعود عليها ، ولا يحب التقرب من طبقة الامراء والنبلاء؛ لسرعة تقلبهم وتغيرهم ، وبعثها مع معتز الرملي.



غضب الأميرة

حين قرأت حليمة رسالة الاعتذار استشاطت غضبا وسخطا من صراحة الشاب، فقالت: هذا الصعلوك الحقير يرفض اللقاء بي أنا ابنة الملك ! يا له من حقير ! ولسوف يرى .. فهو يزعم أنه يخاف من النبلاء والأمراء وتقلبهم وتغيرهم .. وهو من العامة حثالة الناس .. الوغد لا يصلح لمصاهرة الملوك والجلوس معهم .. وما هو إلا مجرد كلب صياد . وذكر لها قصة الشاب الذي غدرت به زوجته الأميرة . مما زاد من حقدها وجنونها وقالت لجواريها وقيمتهن: وإنني سأخونه كما فعلت تلك الأميرة .. يا لها من مقارنة بشعة !

وقالت لنفسها :أو ليس هذا ما يحدث في هذه القصور يا حليمة؟! لا يكاد يمض أسبوع حتى تنتشر فضيحة وقصة .. السعيد من اتعظ بغيره.. لن أقبل هذه الإهانة أيها الصعلوك! سينتشر خبر هذه المراسلة والاعتذار .. لن تقتل كما فعلت تلك الأميرة .. ستسجن حتى يتعفن جلدك وتموت عشرات المرات.. يرفض حبي أنا حليمة بنت الحارث .. يرفض لقائي هذا الصعلوك القذر .. هكذا يكتب ويرد على الأميرة .

لما علم الملك بالمراسلات بينها وبين حسن الماهر غضب والدها منها وعلى حسن ، وطرد معتزا من القصر طردا ، فولى هاربا وهو يخشى على حياته ، وخاطب الأمير ابنته بحدة : ما كان أن تكتبي له .. كان عليك دعوته لمقابلة والحديث معه ؛ فالآن سيقول الناس والنبلاء ابنة الأمير سيد البلاد تراسل شابا عاميا وتزعم حبه .. وتطلب منه زواجها.. أهذا فعل بنات السادة ؟!

تنهدت وقالت بسخط : كنت أظن أنه عندما يقرأ الخطاب ، سيأتي متلهفا ويقبل قدميّ.. فهل يحلم سوقي بنكاح ابنة سيد الجزيرة ؟! أنا ما زلت دهشة من رفضه لي زوجة .. وهو لم يرني في حياته .. ولا أدري هل عرفني يوم السباق ؟!

قال : عليك بالإسراع والتوافق للزواج من أحد أمرائنا يا حليمة!

أما معتز فذهب مسرعا لحسن قائلا : يا حسن عليك أن تخرج من المدينة .. فهم سيقتلونك.. أدرك روحك .. فودع أمك ..ليتك سمعت نصح الحكيم ، ولم ترد كتابة .. أي أدب ينفع معهم

ردد همسا وحيرة : أمي أمي يا معتز !

أجاب معتز : حياتك أهم لأمك من اغتيالك .. سنهرب معا.. ما صدقت ونجوت من غضبة الملك .. فكيف مثلك يرفض لقاء بنت الملك وحبها؟! .. ويذكرها بقصة ذاك القتيل.

قال حسن محتارا : علينا ألا نعجل بالهرب .. ونصبح مطاردين .. وكيف يصح أن ادع أمي الأرملة وحدها .

قال : لا تنسى .. أخوك سعد سيهتم بها أو تتزوج بعد سفرك .

قال حسن : فلماذا تتزوج؟!

قال معتز : الأرامل يتزوجن .



حضر رجال شرطة الأمير ليلا وقبضوا على حسن بناء على غضب الأمير الملك والأميرة حليمة عليه ، وقيد للحبس مكبلا مقيدا أمام أنظار الجيران ، وعلم الناس بالقصة ، وانتشرت في المدينة كسرعة انتشار النار في الهشيم والعشب المصفر اليابس ، وزاد حبهم لحسن لما علموا رفضه الزواج من ابنة الأمير الكبير ، وحتى أن كل عزباء صبية تمنت الزواج منه ، وأن يكون حظها وقدرها .

ذهبت الأرملة أم حسن لديوان الأمير الحارث تتشفع في ولدها حسن ، ولم يسمحوا لها بالدخول إلى ديوان الحاكم ، فاتجهت إلى ديوان الوزير الحارث ، فاعتذروا لها عن عجزهم بمساعدتها ومعاونتها ؛ لغضب الحاكم على ابنها وتطاوله على المقام الأميري ومراسلة الأميرة حليمة ، وكذلك نقمة الأميرة وغضبها منه ، حتى افتضحت في البلاد وبين العباد والأميرات وذهبت لقصر الأميرة وبنات الحاكم لتشفع لابنها وتعفو عنه وتصفح ، فرفضت الفتاة استقبالها والترحيب بها حتى ولو وافق وقبل حسن الزواج منها ، خاصة بعد انتشار الخبر بين الناس الكبراء والحقراء ، وأخبرت أن ولدها سيبقى محبوسا حتى يموت .. وقالت إحدى جواري حليمة : هل هناك عاقل يرفض لقاء الأميرة والزواج منها؟!

تذللت أم حسن قائلة : قولي لمولاتك ابني صغير .. شاب طائش .. لا يحسن التفكير . وترجت وبكت لا أحد يسمع ويشفع ، وقضت أياما تتردد على القصور والدواوين دون فائدة ترتجى ، فمشت للقاضي الأكبر ، وشكت ظلم الحاكم وابنته ، فصرفها القاضي بعطف وشفقة ، وعبر لها عن عجزه عن مساعدتها وعونها ؛ ولكنه أعطاها تصريحا وإذنا لزيارة ولدها السجين وقتما تشاء .

استطاع حسن بمساعدة من معتز وبعض الرفقاء الهرب من الحبس بعد شهور قضاها ، وكانت أمه ساعدت بتصريح الزيارة نقل المعلومات لحسن ، وتنفيذ خطة الهروب وترتيب الإخفاء ؛ حيث نقله الشباب نحو البحر ، وركب مركبا أعد لذلك إلى أقرب مدينة أو جزيرة في البحر

وبعد حين رحل إلى مدينة أخرى بأمان .

كان أحد حراس السجن تواطأ معهم عطفا وشفقة ؛ لأنه ابن أرملة مثله ، فأحس بلوعة الأم وحزنها على بكرها وترملها ، وبعد حين أخبر عن اختفاء السجين حسن ، فظنوا أنه هرب من وقت قريب يسير ، وبحث الحرس وقائد السجن وتقصوا ، وأخبر القاضي باختفاء السجين حسن ، وأنكرت أم الشاب علمها بشيء ، وأنها مشت للسجن لزيارته بعدما أعدت الطعام كالمعتاد فهم يسمحون لها كل أسبوع ونصف برؤيته ، فأخبرت بهربه من سجنه، واتهمتهم بقتله والزعم بهربه ، حتى أعلمها القاضي بحقيقة الأمر، وزعيم العسس أكد هربه وتظاهرت أنها مصدقة زعمهم وقولهم .

علم الملك والوزير وحليمة بهرب السجين فصرخا وصاحا وهددا وتوعدا الهواء ، حث الحاكم زعيم الشرطة على القبض على السجين بسرعة أو حتى قتله ، ومعاقبة المقصرين ، ووضعت الجوائز للإيقاع بحسن، وأنكر حراس السجن معرفتهم بالحيلة التي هرب بها من السجن ، ومن قاموا بمساعدته من الداخل والخارج.

قال الحارس المتواطئ : ذهبت لمحبسه كالعادة لأقدم له الطعام الذي جلبته أمه ، فلم أجده .. لقد اختفى ، وكان قد تناول العشاء في محبسه .

لم يكشف رجال الملك الحيلة إلى التي هرب بها من السجن ، وقيل ربما قفز للبحر ، ومضت الأيام دون ظهور بدنه ميتا أو حيا .. وأين ذهب بعد هربه راقبوا منزله حتى يئسوا من ذلك ، وتركوا الأمر للزمن .. والغيظ يملأ أجوافهم وبطونهم .. ونجا حسن من ظلمهم وطغيانهم .



حسن

استقر حسن الماهر في إحدى المدن الكبرى ، وصحبه الصاحب معتز لحين حتى ينسى أمره حكام جزيرة الطيور الخضر كما أعلم حسنا ، واشتغلا صيادي بحر، صيد السمك وحيوانات البحر ، وعملا عند كبير الصيادين في جزيرة السمكة الحمراء الصياد الشيخ سامع ولما عرف الشيخ سامع بعد وقت همتهما ونشاطهما وشجاعتهما أنكحه إحدى بناته ؛ فأصبح صهرا لكبير الصيادين ، وتزوج معتز ابنة أخ سامع شقيق سامع البحار شامخ .

وكان الصياد سامع وبعض إخوته شركاء في الصيد وحملاته البعيدة في أعماق البحر ؛ حيث يغيب عماله أسابيع وشهور في بعض الأحيان ، فهناك الكثير من الجزر والمناطق بكر ، لا يسكنها أنس ؛ وربما جان أيضا ، وقد أبدع حسن ومعتز في الوصول لتلك الجزر البعيدة قبل مصاهرة سامح وشامخ .

وكان سامع شيخ الصيد وشقيقه شامخ في الجزيرة يصيدان بعض الحملات لولي عهد الملك الأمير الشاب ثعلب ؛ فأصبح حسن ومعتز معروفين للأمير ثعلب بحكم السيد المشترك .

خرج حسن في رحلة طويلة خدمة لسامع والأمير ، تعرض المركب الكبير لعاصفة بحرية وتكسرت مركبهم وضاعوا في البحر ، ومنهم من غرق ، ولم يستطع النجاة من هول العاصفة وأغلبهم نجا ، ورمتهم الأمواج على شواطئ الجزر ، وكان بينهم حسن الذي رماه البحر في جزيرة بعيدة عن جزيرة السمكة ، فتأخر في العودة لخلو الجزيرة من البشر.

استطاع حسن بعدما نجا من الغرق هو وبعض الصيادين ، وبمساعدة صيادين من المدن والجزر الأخرى ، وذلك بعد أسابيع أن يعودوا سالمين لجزيرة السمكة جزيرة الأمير سعيد وابنه ثعلب.

وفرح الناس بعودتهم أحياء بعد أن غلب على ظنهم أنهم من الصيادين الهالكين كما قال الناجون .

وكان أسعدهم معتز رفيق حسن في المنفى الاختياري، وكذللك زوجته ووالدها سامع كبير

الصيادين ، رغم حزنهم على من مات ، سعد صهره بعودته واحتفل بذلك ، فقد كتبت لهم الحياة من جديد ، وصنع وليمة ذكرت في تاريخ الجزيرة .

واستقبلهم الأمير الكبير ، وولي عهده ، وشكر الله على نجاتهم ، ونقله الأمير ثعلب للعمل في مراكبه الملكية مع صيادي الملك والأمير خاصة ، وكانت مراكب الملك من أجود المراكب ، وظلت علاقته مع حماه طيبة ، ويرافقه في بعض الحملات ، فصار يعمل للفريقين ، ولما هلك رئيس مراكب الملك عين حسنا الرئيس الكبير ، فصار معروفا لدى طبقة الأمراء ، وصار من حاشية الأمير بلا منازع ، ومقربا من العرش ، فكلما رجع من الصيد يستقبله الأمير وأعوانه ويسمع منه أخبار الرحلة وكمية الصيد وأنواعه .

خرج الصياد حسن في رحلة جديدة ، وأثناء هذه الرحلة كان الأمير سعيد وابنه ثعلب في زيارة لجزيرة الطير الخضر ، وخطب الأميرة حليمة بعد أن ترملت التي كانت قد تزوجت أميرا بعد اختفاء حسن الماهر الذي رغبت به زوجا .

ولما ترملت كان الملك سعيد في زيارة لملك بلد الطيور ، والتقى بالأميرة لما أتت مع الأميرات ترحب بالأمير ونسائه ، ولما قدمت له أحب أن ينكحها لولي عهده الذي أبدى إعجابه لأبيه بحسنها وفتنتها ، ففهم سعيد رغبة ابنه ، فطلبها لولي عهده زوجة ثالثة؛ لتقوية أواصر المحبة بين البلدين ، فرحب الحارث بهذه الرغبة والغايات ، قبلت الأميرة الانتقال لمدينة سعيد .

ولما رجع حسن من صيده الأخير مسرورا بما حمل من السمك الوفير ، وعلم من هي زوجة ولي العهد الأخيرة أصابه قلق وخوف وانزعج ، وخشي على نفسه من حقدها ، ومن عاقبة هربه من سجن أبيها ، وخشي على صداقته وعمله مع صيادي الملك وابنه ، فحدث والد زوجته بقصته القديمة قبل أكثر من عشر سنوات ، وذكره بسبب هجرته ومعتز لهذه البلاد ، فقال البحار مهونا من الأمر ومقللا من الخوف والقلق : أنت لا شأن لك بالأمر !

فقال حسن لمعتز : أعلمت أن أميرنا طلب يد حليمة بنت الحارث .

قال : سمعت وانزعجت مثلك ، وحدثت والد قرينتي بقصة هربنا .

فتعجب من قدر وقدرته ، وقال: لا أعتقد أن يقبل الأمير الكبير تسليم حسن للحارث.. ولا يستساغ فعل ذلك عرفا ومرؤة.

قال حسن : للأمراء والسادة تقاليد سيئة يا صديق العمر .. ما أخبار البلاد؟

قال : قضى موسى أخي ردحا من الحين ضيفا .. ورجع للديار .. وخشي أن تطول غيبتك .. فدفعت له الهدايا لأمك البطلة الغالية وشقيقك .

قال حسن : أكرمك المولى في علاه .

ذهب ثعلب بن سعيد بحاشية من الأمراء والفرسان والمراكب البحرية الأميرية للزواج من حليمة أميرة بلاد جزيرة الطير ، وبعد زواجه والخلوة بعروسه بأسابيع رجع قافلا بها لبلاده ، وقد رافقها بعض غلمانها وجواريها ، ونزلت القصر الملكي الكبير .

وتقبل الأمير التهاني باقترانه بها من سادة وأمراء جزيرته وأصدقائه من أهالي الجزيرة ، وانشغل بها بضعة أسابيع آخر ، وسارت الأمور دون أن يلتقي خلالها حسن بالأميرة ، وكان حسن حريصا ألا يلتقيان خشية أن تتذكره ، وساعده على ذلك رحلات الصيد المتكررة .

وذات يوم لما دخل القائد حسن بعد رحلة صيد ناجحة استقبله الأمير كالعادة ؛ ليسمع منه أخبار الرحلة ، وكانت الأميرة الجديدة بصحبته واستقباله ، ولما تأملته عرفت من هو القائد حسن فرف قلبها ودهشت ، وتذكرت يوم السباق عندما تقدم على الجميع ، رجعت بها الذكريات فورا لتلك الأيام للوراء ، وكيف اعتذر عن اللقاء بها ؟ والزواج منها .. وذكرت هربه من سجن أبيها فشاركت بالترحيب به والثناء وجعلت نفسها ؛ كأنها لا تعرف شخصه فهزت رأسها باحتقار، ووجدته محبوبا ومقربا من زوجها ، وأنه مسؤول الصيد عند الأمير ، فأخذت تفكر وتدبر للقضاء عليه والانتقام ، فهي لم تنس الجرح الدامي في قلبها، وأدرك حسن بحسه واختلاس نظرتها إليه أن حقدها وبغضها ما زال في بطنها عليه ، فتوجس خيفة منها ، وفكر بترك خدمة الأمير في أول فرصة تتاح والرحيل لموطن جديد ؛ اتقاء لشرها وغضبها وهمس : ألم تلق بي في السجن ظلما عدونا !

أدرك حسن الماهر أن الأميرة عرفته فور رؤيته ، وأنها لابد أنها تذكرته دون مواربة فانزعج واحتار ، ولم يطل الانتظار والحيرة ، فجاءته رسالة تزعم أنها ما زالت محبة له ، وأن الحب عاد إليها ، وأن هواه لم يذهب من قلبها ، رغم كل هذه السنوات من البعد والفراق ، ولما رأته تجدد الوجد في وجدانها ولواعج العشق في بدنها ، وتود الالتقاء به للحديث والعتاب ، ولتعرف كيف هرب من سجن أبيها ؟ وقد غلب على ظنهم رمي نفسه في الماء المجاور للسجن ، وليصبح من المقربين منها ومن حاشيتها ، وستحقق له كل أحلامه وأمانيه اذا اقترب منها .

ولما علم الرجل فحوى الرسالة ، اخبر والد زوجته بالكارثة ، فاحتار كبير الصيادين بالخلاص فمصارحة الأمير قد تسيء للأمير والملك ، وغض الطرف خيانة ، والسكوت قد يطول فيتعرضان للأذى والاتهام ، وهرب الشاب تأكيد الأمر ، وترك زوجة وأطفاله ضرر وشر .

اعتذر الشاب للأميرة كما اعتذر قديما ، وأنه يرفض خيانة ولي أمره وصديقه الأمير ، وعليها أن تستسلم لقدرها ونصيبها . فزاد الحقد والثورة في قلب الأنثى ، واستطاعت إغراء أعوان حسن بالخلاص منه ، وأن عليهم قتله أثناء رحلة صيد ، عرف حسن بالكيد ، فلما كان موعد السفر تمارض وتظاهر بالعجز عن القيام بالمهمة ، فكلف بها نائبه ومساعده .

ولما علم ثعلب بمرضه أرسل إليه طبيب القصر والأسرة الحاكمة ، وتبين للطبيب أن مرض حسن خفيف ، ولم يكن بالمخيف والخطير، والمانع من السفر ، فاستغرب الأمير ، واستدعى كبير الصيادين في الجزيرة ، وسأله عن علة حسن ، وسبب تخلفه عن الرحلة ، فاضطر الصياد أن يصارح الأمير ووالده الحاكم بالمؤامرة التي تحكيها زوجته حليمة ضد حسن ، وأن بعض من كلف بها كشفها لحسن ، وأعطاهم رسالة الأميرة لحسن ، وحدثهم عن القصة القديمة التي دعت حسن أن يهاجر لهذه الجزيرة.

ولما اطلع الحاكم والأمير ثعلب على الرسالة القديمة والجديدة صدق القصة ، فجن جنونهما على الأميرة ، وغضب ثعلب عليها الغضب الشديد بعد غضب وسخط أبيه ، وصارح الأميرة فأنكرت بشدة ، وقالت : أنا أحب مثل هذه الصعلوك .. وأكتب له هذا .. كذب وجنون!

فروى لها حينئذ قصة السباق والحبس ، وأن والده أرسل رسولا لوالدها ومدينة الطير ؛ ليعرف الحقيقة ، وأنه تأكد من سعيها لقتله ، وإغواء عدد من البحارة بالقضاء عليه .

فقالت : ولماذا أقتله وأنتم تزعمون أني أحبه وأهواه ؟!

صرخ قائلا بغيظ : انتقاما وحقدا !



النهاية

لما علم الملك بهذه الحكاية وصدق حسن وحميه طلب منه تطليقها فورا ، وأن تغادر لبلاد أبيها مع رسول يشرح للملك الأسباب والقصة .

وأمر الملك بنفي حسن ، خشية عليه من الاغتيال من رجال الأميرة نفسها والأمير الحارث بعد معرفتهم بمستقره .

وعجب الصياد من هذا الحكم ، وتفهم غاية الحاكم ورأى صوابها ، وأدرك واستوعب أن حياة صهره في خطر أكثر من الأميرة المطلقة والمطرودة.

وغادر الصياد الكبير بمراكبه إلى جزيرة أخرى ، فقد خشي على حياته وحياة أسرته من غدر الحارث وابنته عندما يعلم التفاصيل كلها ، فرأى الملك سعيد أن هذا أمر جيد حتى لا تلوك الألسن القصة ، وينشغل الناس بأمر الصياد حتى تنسى الحكاية .

ولما علم والد الأميرة بعودتها مطلقة وفضيحتها الجديدة جن جنونه عليها ، وعلى حسن .

وقال: عندما قلت لك تزوجي من الأمراء .. قلت السباق .. أريد شابا من عوام الشعب .. ولما ترملت ضمك الملك سعيد لزوجات ابنه .. وعدت للفضائح والحسن.

دافعت عن نفسها بقوة وأنها ستطارده حتى يموت ، وستطارده بنفسها ، فرفض والدها هذا الاقتراح والانتقام وقال : لسنا بحاجة لفضائح جديدة .

وكان لها ابن عم قد ترمل حديثا أثناء وجودها وعيشها في جزيرة السمكة ، فحدثها عنه ؛ فرحبت وقبلت اذا قتل حسنا ؛ ليموت حبه في قلبها ؛ كما زعمت لأبيها والأمير الأرمل ، وكان هذا الأمير يعرف بالقصة التي شاعت قبل سنوات طوال ، ومكاتبتها لحسن الصياد ؛ ليكون قرينا لها في قصة معروفة ، لم ينسها الناس بعد .

قبل الأمير ابن العم شرطها على أن ينفذ القتل بعد الزواج ، رفضت ذلك ، وقالت مستهزئة : لن يحتاج الفتك به لزمان !

رد على تهكمها فقال : أعرف أنك من أحمق النساء !

هاجت قائلة : أنا حمقاء ! لماذا ؟!

قال باسما : لماذا ؟! سأقول لك لماذا ؟ عندما عرض عمي الأمير الحاكم عليك اختيار أمير للزواج منه رفضت بحجة أنك لا تريدين أن يكون لك ضرة كما هو شائع في جزيرتنا .. فأقام والدك سباقا لتري أبناء العامة من الشعب .. ولا حرج في ذلك ؛ إنما الحرج والحمق أنك كتبت رسالة لذلك الشاب : فكان يمكنك أن تستدعيه وتلتقي به مشافهة ، ولما رفض أنكرت الخطاب .. فهذا حمق.. وفعلت ذلك مرة أخرى وأنت غريبة عن أهلك وعشيرتك.. فماذا تسمين كل هذا ؟ وأنا لي ثلاث زوجات .. ماتت واحدة ، وبقيت أخرايتان .. وقبلت بك ليس حبا وغراما بك يا حليمة ! قبلت ضمك لنسائي لحب والدك ذلك .. ثم احتد صوته وهو يقول :

ومع ذلك سأزيل حسنا من حياتك خشية أن تريه في يوم ما ويعود الحب المزعوم يا حليمة !

خرج الأمير وغلامه لمدينة الأمير سعيد ، فوجده راحلا ومهاجرا ، ثم تبعه للجزيرة التي رحل إليها ، وسعى للعمل والصيد معهم ، وفطن حسن وحماه للخطر ، فطلبا من أحد الخدم المراقبة له والتجسس عليه .

ولما حاول الغدر بحسن ، تم اعتقاله ، وقدم لملك الجزيرة الملك قبس البرق ، فسفك دمه بعد اقرار غلامه بالمهمة التي جاءوا من أجلها.

ولما علم الملك بمقتل ابن أخيه وتآمره مع حليمة أمر بحبسها حتى تموت ، ورفض الشفاعات فيها حتى يكبر أبناء الأمير ويحكمون عليها ، وقد رفض الأبناء والأخوة العفو والصفح عنها ومكثت في السجن حتى هلكت ؛ كما يهلك كل البشر .. وهذه حكاية حليمة بنت الحارث ، وقيل ظلت حية حتى بلغت من العمر عتيا ، والله أعلم .



منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

حكاية حسن وحليمة


حجر القمر
حكاية حسن وحليمة
حمار مسحور
وحش الغابة
الدنيا الساحرة
المغارة السحرية
حفيد الهدهد
كفر الذرة